http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1470) السنة السادسة - الاربعاء (1) نيسان 2009

# غساسنة ومناذرة جاءوا إلى الدوحة!

الحوار المتمدن

**جواد البشيتي**

لو لم يأتوا على ذِكْرها لكان هذا التجاهل خير قرار؛ ولكنهم لم يجرؤوا..

إنَّها «المبادرة» التي تتحداهم أن يجرؤوا على إكرامها؛ وخير إكرام للميت هو دفنه. لقد أبوا الاعتراف بموتها قبل دفنها؛ وكلَّما استطالت المسافة الزمنية بين الموت والدفن استبدَّ بهم العجز عن إكرام هذا الميت، وكأنَّهم يحتاجون إلى من يكرمهم هم أوَّلاً.

من قبل، لم يكن من موجب ليجتمعوا دورياً وفي انتظام؛ ولم يكن من موجب، بالتالي، لتتلبَّد السماء الصافية للغساسنة والمناذرة بغيوم النزاع والخصومة والخلاف، فنَعِمْنا زمناً طويلاً بـ «أُخوَّتهم»؛ ولكنَّهم تواضعوا على أن مخاطر لا يستهان بها تحدق بنا وبهم، فقرروا، ويا ليتهم لم يقرروا، أن يلتقوا دورياً وفي انتظام، لعلَّ الله يوفِّقهم في درء تلك المخاطر. صلحهم لا يشبه إلا خصومتهم؛ وهم يشبهون صلحهم وخصومتهم معاً، فعندما يلتقون يتصالحون؛ وعندما يغادرون يستأنفون الخصومة، التي هي السمة الجوهرية للعلاقة بين العواصم العربية بين كل قمتين.

أبصارهم زاغت، وموازينهم اختلت، فالعظائم تَصْغُر في عيونهم، والصغائر تَعْظُم، فكيف لهم أن يقودوا مركبا تتقاذفه الأمواج، وتعصف به الرياح العاتية؟!

بعضهم لبس لبوس الحكمة، وقرر أن ينتسب إلى السياسة في عالمها الواقعي، أي في عالمها غير العربي، فاكتشف إذ تناهى إلى سمعه أن السياسة هي، في بعض من معناها الأعجمي، فن الممكن، أهمية وضرورة أن يتعلَّم قادة الأمة «فن إدارة الخلاف»، فإذا كان خِلافهم بوزن تنوء بحمله الجبال فلمَ لا يتوفَّرون على تحقيق الممكن، والممكن كثيرا، وهو أن يُحْسِنوا إدارته، والتحكم فيه، إلى أن يتهيأ من الأسباب الموضوعية والذاتية ما يكفي لإنهائه وإزالته.. وكأنه نيتشه الذي طالما دعا إلى تعليم الطير فن السقوط إنْ هو عجز عن تعلم فن الطيران!

ولكن، من أي نمط، ومن أي وزن، هذا الخلاف المستعصي على الحل الآني حتى يُدعى المختلفون إلى تعلم فن إدارته؟!

إنه من نمط، ومن وزن، تأبى الدول.. الدول أن يكون جزءاً من العلاقة السياسية بينها، وتأبى، بالتالي، أن تتصالح كما تتصالح «دولنا»، فلا هذا التصالح، ولا ذاك الخلاف، يليق بها!

ولو كان للسياسة من محكمة، لحكمت بطرد الدول العربية من عالمها، الذي لا مكان فيه إلا لدول تختلف؛ ولكن لأسباب وجيهة، وتتصالَح؛ ولكن بما لا يقل وجاهة عن أسباب اختلافها!

نحن أُخْوة؛ ولكننا لسنا دولاً، فالخلاف بين دولنا لا يمكن فهمه وتفسيره إلاَّ على أنه خلاف شخصي صرف، أي لا أثر فيه للسياسة في معناها غير العربي. إنه خلاف بين القادة على كل ما من شأنه أن يُنَزِّه دولهم عن الخلاف السياسي، فإذا تصالحوا فلا يتصالحون إلا بما يؤكِّد أنَّ خلافهم كان شخصياً خالصا.

هذا في أمر خلافهم وصلحهم؛ أمَّا في أمر قرارهم فحدِّث ولا حرج. أنظروا، ولو من غير أن تمعنوا النظر، في كل «قرار» يتجشمون إصداره، فلن تقفوا على أي معنى من معاني «القرار».

إنهم يجتمعون، دورياً وفي انتظام، لـ «يقرروا»؛ ولكن قرارهم يأتي دائماً على هيئة «إدلاء برأي»، أو «تعبير عن شعور»، فإذا دمرتْ إسرائيل قطاع غزة، واتَّخذته مسرحاً لجرائم حرب ترتكبها على مرأى ومسمع من دول الأمة وقادتها، قرروا أن يُدْلوا برأيهم في هذا الأمر، وأن يعبِّروا عمَّا يجيش في نفوسهم، فما قامت به إسرائيل إنما هو «عدوان، وعدوان آثم، ندينه ونشجبه ونستنكره..». وفي هذا النص، وأشباهه، نقف على «القرار» في معانيه العربية فحسب، أي في كل معنى لا يمت بصلة إلى المعنى الحقيقي لـ «القرار».

الساسة هناك، أي في عالمها الواقعي، إذا جاع أحدهم يأكل، فإن سئل أجاب: لقد جُعْتُ فأكلْت. أمَّا الساسة عندنا فإذا جاع أحدهم فإنَّه يُظْهِر فعْل الأكل على أنَّه «قرار»؛ وربَّما يتمادى في تَعظيم فعله، فيُظْهِره على أنه «قرار تاريخي»، وكأنَّ أبا العلاء المعري حضر القمم العربية إذ قال في الساسة: يسوسون الأمور بغير عقل، فيُنْفَذ أمرهم فيقال ساسة!

وحتى تراهم وكأنَّ على عينيك غشاوة يعمدون، أو قد يعمدون، إلى أن يُلْبسوا، في خلافهم عند صوغ البيان الختامي، لبوس «الدهاء السياسي»، فـ «الحرف» يصبح موضع خلاف، ضاربين صفحاً عن أن آلاف الصفحات التي حبَّروها لم تحرِّك حصاة من مكانها!

لقد قرروا هذه المرة ما قرروه من قبل، وهو الاستمساك بمبادرة السلام العربية، التي بها ترجموا استمساكهم بالسلام خياراً استراتيجياً؛ ولكنَّهم ضَمُّوا إلى الجَزْر بعضاً من العصي، فإذا ظلت إسرائيل مستمسكة بإباء إبليس واستكباره، ولم تنفخ في جثة المبادرة بعضا من روحها، أي إذا لم تفْعَل بما يسمح بتفعيلها، فلن تظل المبادرة على الطاولة إلى الأبد!

وهذا «الإنذار العربي»، الذي يراد لنا أن نفهمه على أنَّه تكلم العرب بلسان من نار، لن ينزل على إسرائيل برداً وسلاماً، ولسوف يكرهها على أن تجنح للسلم، وتقبل المبادرة! ويا ليتهم لم ينذروها، فكل إنذار من هذا القبيل والوزن إنما يغري إسرائيل بمزيد من الاستخفاف بالمبادرة، فإذا ما أمعنت في استخفافها بالخيار الإستراتيجي العربي، تساءلنا في عجب عاجب عن السبب، وكأننا لم نكن نحن السبب الذي يبطل العجب!

حتى في أمر البشير جاء «قرارهم» بما يخالف معنى ومنطق القرار، فلو أن المتضامنين من القادة مع زميلهم في محنته تجشموا السفر معاً إلى الخرطوم للمجيء بالبشير في طائرتهم إلى الدوحة لكان عملهم هذا خير وأقوى قرار.

ولو أنهم، في الوقت نفسه، قرروا دعوة مجلس الأمن إلى الاجتماع لبحث مشروع قرار (عربي) يدعون فيه إلى أن يؤلف المجلس لجنة للتحقيق في جرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل في قطاع غزة، وإلى سوق مرتكبيها، من ثم، إلى محكمة دولية، لأثبتوا للعالم أنهم أصحاب قرار.

في الأمس، اتفقوا على أن يختلفوا؛ واليوم، اتفقوا على إدارة خلافهم؛ وغداً، سيختلفون في كيفية إدارة خلافهم.

ولو أراد الإعلام العربي أن يساهم مساهمة جليلة في تحسين القمم العربية، وإصلاح حالها، لقرر أن يغيب بأضوائه وأقلامه عن كل قمة عربية، فكل هذا الذي نرى ونسمع إنما يُلزم الإعلام العربي الغياب إلى أن يحضر العقل والمنطق في قممهم وقراراتهم وبياناتهم!.

## قنطرة

### لاعبو كرة القدم المسلمون في ألمانيا والاندماج:

# رحلة الاندماج عبر الساحرة المستديرة

يرى البعض أن الإسلام في حد ذاته يشكل خطرا على القارة الأوروبية، بيد أن لاعب كرة القدم عندما يصلي فإن صلاته تعتبر شكرا لله. ولكن على الرغم من ذلك هل أضحت ملاعب كرة القدم جنة متعددة الثقافات ومساحة لتعزيز الاندماج والتسامح؟ عالم الاجتماع كلاوس ليغوي يقدم إجابة لهذا السؤال.

اعتنق بلال ريبيري الإسلام بعد زواجه من جزائرية مسلمة يهتف مشجعو كرة القدم في ألمانيا وينادونه بـ«غاودي المسلم»، وفق ما سمّته مجلة فوكوس. فارتباط الإسلام بشيء من المرح والسرور قلما يسمع به المرء في هذه البلاد، فالخوف من الإسلام يعتبر من ضروريات الحياة حتى أنها وصلت إلى حد الهستيريا في الأوساط المثقفة والغنية. ويُعتبر فرانك ريبري «غاودي»، أفضل لاعب في نادي بايرن ميونخ، ليس فقط بسبب الأهداف التي يسجلها وتوجيهه الكرة نحو الهدف بركلاته القصيرة السريعة وأفعاله الشيطانية في معسكر التدريب وفي التلفاز ولكن أيضا عندما يحطم قوائم المرمى.

وأصبح ريبري مسلما بعدما اعتنق الديانة التي تدين بها زوجته الجزائرية. وقبل البدء في اللعب يصلي بلال ريبري، الذي كان يُدعى قبل إسلامه فرانك. وعلى أرض الملعب لا يشرب إلا المياه المعدنية، وعلى صفحة الويب الخاصة به يظهر شعار «الثقة بالله دائما».

### عندما يصلي ريبري

كيف يسمح ريبري لنفسه بذلك؟ حول هذا التصرف أجرت صحيفة «بيلد ستايتونج» في سبتمبر / أيلول عام ٢٠٠٧ حوارا بَين دينيا مع نجم نادي بايرن ميونخ، وسألته: «ماذا يدل اسمك الإسلامي 'بلال'؟ ورد قائلا: «لا بد من أن أتصل بزوجتي... وأمسك هاتفه الجوال وتحدث برهة، ثم قال إنه اسم أول مؤذن نادى إلى الصلاة في عهد النبي».

«هل تصلي أيضا في الكابينة؟» «لا، أصلي الصلاة التقليدية في البيت أو في الفندق قبل بدء اللعب. ثم أدعو الله على أرض الملعب». «ماذا تفعل في رمضان؟ هل تصوم؟» «هذه مسألة صعبة للاعب كرة قدم محترف. في السابق كانت الأمور أسهل من ذلك، أما اليوم فلا بد من أن أراعي أوقات اللعب والتمرين. في مثل هذه المواقف لا يجوز لي الامتناع عن شرب سوائل. والآن في شهر سبتمبر/ أيلول سوف أصوم أيام العُطلة، أما أيام اللعب فلا».

لكن إسلام ريبري (الـ«مهمل» في مظهره) لا يكاد يتردد على ألسنة الناس في ملاعب كرة القدم. أما في مدونات كرة القدم فهناك شائعات تقول بأنه تركي أو أجبر على اعتناق الإسلام. ويتساءل المرء أيضا إذا كان يضرب زوجته أو يجبر بناته على لبس البرقع أو يمول مدارس القرآن. فمثل هذه الشتائم يتلقاها أي إمام في مسجد، ولكنها لا تصل إلى نجم كرة القدم الذي يسحر جمهوره، لدرجة أن بإمكانه أن يطلب مكانا للصلاة في استاد «أليانس أرينا».

### الإسلام جزء لا يتجزأ من كرة القدم في ألمانيا

لمَ إذن لا يعترض أحد على اعتناق أحد نَجوم كرة القدم ديانة غريبة كالإسلام، في حين أن المسلمين الآخرين تحوم حولهم الشبهات؟ لا بد من أن يكون ذلك متعلقا في المقام الأول بنظرة الإجلال والتقديس التي يحظى بها نجوم كرة القدم، بغض النظر عن الديانة التي يعتنقها. وثانيا، وهو الأهم، أن بلالا «يحرز نجاحا» على أرض الملعب.

وطالما أن الأمور تسير على ما يرام فهناك تقبل للرياضة الجماعية المتعددة الثقافات حتى في المجتمعات العنصرية، ويصبح من الأشياء الثانوية سواء كان تعددا ثقافيا أم دينيا، كما هو الحال في منتخب فرنسا لكرة القدم ونادي إنيرجي كوتبوس. فعند كليهما لا تلعب التبعية الدينية إلا دورا ثانويا، ومن يحرز هدفا أو يمهد له أو يمنع الخصم من إحراز هدف يُسمح له بالصلاة.

وثالثا أن كرة القدم التي تقوم على مبدأ المنافسة، وعلى المرء أن يهزم خصمه بشرط ألا يلحق به ضررا. ولأن الكل مطالب بالسلوك الحسن فإن كرة القدم تعتبر عند «نوادي الأجانب»، مثل نادي «تركيا سبور برلين» ونادي «كوسفو لكرة القدم»، مجالا مهما للتواصل في المجتمع المتعدد الطبقات، فالكل يلعب في حين أنهم مع نظرائهم. وعلى «أرض الملعب» يُقضى على المتناقضات ويتم تهذيبها.

### ملاعب كرة القدم ليست جنة متعددة الثقافات

ولا يتجاوز مستوى التمييز العنصري إلا «الجمهور» الذي يعلن عنصريته أو لا يهمه المباراة، فهؤلاء ينقلب عنفهم العدواني – الشيء الموجود أيضا في كرة القدم ولكنه خاضع لأحكام الترويض – إلى ثورة إبادية علنية حتى أنها قد تصبح خطرا على «غاودي المسلم». ولا ننسى أي ملعب كرة قدم ليس جنة متعددة الثقافات، فالشتائم ذات الصبغة العنصرية والعداء ضد الأجانب من الأمور المألوفة، سواء على أرض الملعب أم على المدرجات وأماكن وقوف الجمهور المتفرج.

ومع كل ذلك فتصرفات ريبري الدينية داخل فريق نادي بايرن ميونخ تشرح كيفية معالجة الصراعات البَيْنِ دينية بهدوء، على طريقة التعامل مع الكرة على أرض الملعب. كما تبين أيضا أن المسلمين ليسوا مخلوقات غريبة، وأن الإسلام جزء لا يتجزأ من كرة القدم في ألمانيا. ولَيتمنى المرء أن يتعلم جمهور ريبري شيئا من تسامحه تجاه أصحاب الديانات الأخرى ليمارسوها في حياتهم اليومية عندما يشاهدون مآذن أو نساء محجبات. فهنا أيضا يجب تهذيب المتناقضات والقضاء عليها.

أمد info

# المقاطعة ليست حلا

**حسن عصفور**

قبل عدة سنوات اتخذ القادة العرب قراراً بعقد القمة العربية كل عام ، وكانت الذريعة يومها لتغيير التقليد السابق ان الحيوية السياسية تتطلب ذلك القرار ، خاصة أن الاحداث السياسية التي تعصف بالمنطقة وما يدور حولها وبها ، والتطورات من كل الأنواع اقتصادية ثقافية اقتصادية أمنية ، مناخية بيئية وكثير من القضايا التي تحتاج مثل ذا التواصل السياسي العربي .

وقد جاء القرار كخطوة ايجابية لزيادة روح التعاون والتنسيق العربي العربي متشابهين بالموقف الاوروبي ، حيث ساهمت اللقاءات السنوية الدورية في توقيت معروف مسبقا في التقريب من حجم الخلافات ووجهات النظر التي تعصف بهم أكثر كثيرا مما بين العرب ذاتهم ، لكنهم قرروا أن يتصرفوا كقادة وزعماء ورؤساء ، بعيدا عن الألقاب التي تبجل الأسماء والمكانة ، حكاما لبلادهم وشعوبهم وليسوا حاكمين لها وعليها برغبة أو دونها.

لكن ومنذ قرار العرب بلقاء سنوي ربما لم يكتمل نصابهم الا نادرا ، كقادة وزعماء ، حكاما وحاكمين ليلتقوا في القمة يتناقشون بجدية وعمق حول كل القضايا التي تواجه الأمة وتحيط بها ، تتعلق بمصير وحضور ومكانتها التي تهتز بشدة لصالح قوى اقليمية غير عربية ، وتبرز ملامح تحالفات تحكمها المصالح الخاصة بهذا الطرف أو ذاك ، لا صلة لها بالمبادئ أو القيم التي يتحدثون عنها ليل نهار لكنهم يفعلون كل ما هو ضروري من اجل مصالحهم الخاصة وتعزيز حضورهم ومكانتهم في الخريطة الدولية .

التحديات العامة التي تنتظر القمة ، اي قمة ، عديدة وعديدة جدا لا يغلب اي كان من تعدادها فهي باتت محفوظة تقريبا من تكرارها الدائم ، برغم أن الجديد يبرز دوما وربما هذا العام يشهد تحديات متعددة سواء العلاقات العربية العربية ، التي تعيش فترة سوداء من تاريخها يستغلها بذكاء كبير البعض اللاعربي لتنفيذ مخططاتهم ، سواء المعادية أو المناقضة او المزاحمة للمصلحة العربية ، أو تلك المتعلقة بالصراع مع اسرائيل في ظل حكم عنصري جديد ، وأثر الرؤية الأمريكية التي تطرحها والعلاقات العربية مع بلاد فارس وتركيا ، الى جانب متابعة ملفات لبنان وقضية السودان والأمن القومي العربي ، ملفات عديدة لاحصر لها تحتاج قرارات تعيد بعض رونق الحال العربي .

لكن ما يحدث بات لا يشير الى ذلك ، بل العكس تماما ،فهذه القمة الثانية التي لن تكون قمة ايجابية ، حيث بدأ عدد من الدول بتخفيض مستوى الحضور والتمثيل وغياب القادة عن المشاركة في القمة التي ستعقد يوم غد في الدوحة ، هذا الغياب يعني مسبقا فشلا سياسيا لمعنى وقيمة القمة العربية ، فما الأهمية التي تكمن في دورية القمة سنويا وفي موعد محدد من كل عام ، ما الفائدة والقيمة السياسية من حضور لقاء خليط من اصحاب القرار وشكل التمثيل ومستواه ، وهذا ليس انتقاصا من شخصيات من ينوب لكنه لا يمثل الغائب وزنا وهيبة وقراراً .

لماذا يتم الخلط بين الخلافات مع بلد ما وبين القمة العربية ذاتها ، فالمشاركة في القمة هي حق وواجب بحكم المسؤوليه التي يحكمها الموقع المسؤول للقائد بحكم موقعه في البلد الذي يحكم ، والمشاركة في القمة مشاركة في البحث عن الحلول التي تنتظرها شعوب الامة ، ولا يجوز ربط حضور القمة ، اي قمة ، من مكانها فهذا استحقاق إلزامي وليس منحة أو هبة ، المقاطعة هنا لا تقدم الحل المرجو حتى للمقاطعين.

القمم الأخيرة شهدت حجم غياب بهذا المستوى خاصة غياب دول بوزن اقليمي كمصر ما يفقد القمة اي قيمة لها ، وكانت تجربة قمة دمشق وما تلاها مؤشرا لمعنى المقاطعة التي زادت من الجفاء والخصومة وسمحت بتسرب بعض الانتهازيين للدخول وسط الحال العربي لينفخوا مزيدا من شقاق ، القمة اما أن تكون قمة أو يتم استبدالها بلقاء وزاري عربي على مستوى الخارجية الى حين ايجاد آلية اخرى ، ربما يكون أكثر مناسبة من هذا الشكل الذي يبدأ بالخصومة والتوتر ، فكيف له أن يكون مكانا لبحث الأخطار ووحدة الموقف منها .

ربما آن أوان البحث عن صيغ غير هذه الصيغ الى حين يتم الاتفاق الفعلي بمعنى القمة العربية اطارا للمساهمة في الارتقاء بحالة الامة وليس انتكاستها أو وكستها.

**ملاحظة : حماس طالبت العرب بالوحدة وهي لا ترى أن الفلسطيني يحتاجها أيضا..**